

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[170] بالأمّ بعنوان إحترامهنّ. والشاهد لهذا القول، أنّ القرآن الكريم يقول:

(الذّبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وهذا يعني أولوية الذّبي بكلّ النساء والرجال، وضمير الجملة التالية يعود إلى هذا العنوان الواسع المعنى، ولذلك نقرأ في العبارة التي نقلت عن "أمّ سلمة" - وهي من أزواج الذّبي (صلى الله عليه وآله) - أنّها قالت: أنا أمّ الرجال منكم والنساء (1). وهنا يطرح سؤال، وهو: هل أنّ تعبير (وأزواجه أمّهاتهم) يتناقض مع ما ورد في الآية (2) من سورة المجادلة: (والذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هنّ أمّهاتهم إنّ أمّهاتهم إلّا اللاتي ولدنهم وإنّهم ليقولون منكراً من القول وزوراً) فكيف تعتبر نساء الذّبي - والحال هذه - أمّهات المسلمين ولم يولدوا منهنّ؟

وينبغي في الإجابة على هذا السؤال الالتفات إلى أنّ مخاطبة امرأة ما بالأمّ إمّا أن تكون من الناحية الجسمية أو الروحية. فأمّا من الناحية الجسمية: فإنّ هذه المخاطبة تكون واقعية في حالة كون الإنسان مولوداً منها فقط، وهذا هو الذي جاء في الآيات السابقة بأنّ الأمّ الجسمية للإنسان هي التي تلده فقط. وأمّا الأب أو الأمّ الروحيين، فهو الذي له حقّ معنويّ على الإنسان كالذّبي (صلى الله عليه وآله) الذي يعتبر الأب الروحي للأمّة، ولأجله إكتسبت أزواجه منزلة وإحترام الأمّ. والإشكال الذي كان يوجّه إلى عرب الجاهلية في مورد "الظهار" أنّهم عندما كانوا يخاطبون أزواجهم بخطاب الأمّ فمن المسلّم أنّ مرادهم ليس الأمّ المعنوية، بل المقصود أنّهنّ كالأُمّ الجسمية، ولذلك كانوا يعدّونه نوعاً من الطلاق، ونعلم أنّ الأمّ الجسمية لا تتحقّق بمجرد الألفاظ، بل إنّ شرط ذلك الولادة الجسمية، وبناءً على هذا فإنّ كلامهم كان منكراً وزوراً.